ذخائر التراث (9)

كتاب

رياضة العقول

المعروف بكتاب

تأخير المعرفة

تأليف

أبي العنبس محمد بن إسحاق الصيمري

ت ٢٧٥ هـ

تحقيق

د. أحمد عبد الباسط

مدارج
للنشر والتوزيع
PUBLISHING & DISTRIBUTION

المجمع العلمي العراقي
١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م

أوراق مجمعية

العدد التاسع السنة الثامنة نيسان ٢٠٢٤م

عدد خاص لمناسبة يوم المخطوط العربي

في هذا العدد

- إضاءات على منهجية تحقيق المخطوطات
- تحقيق التراث؛ من تقويم النص إلى معرفة الوعاء
- إشكالية التعامل مع المخطوطات التي يُجهل سير مؤلفيها

مجلة أنشئت عام ١٩٩٨م صادرة عن المجمع العلمي العراقي

أوراق مجمعية

المشرف العام
أ.د. محمد حسين آل ياسين
رئيس المجمع العلمي العراقي

رئيسة التحرير
د. نادية غضبان محمد

مديرة التحرير
غادة سامي عبدالوهاب

سكرتيرة التحرير
شيماء أمجد العاني

هيأة التحرير
أ.د. لطيفة عبدالرسول الضايف
أ.د. محمد حسين علي زعين
أ.م.د. ماجدة هاتو
لمياء عدنان المندلاوي

الإشراف الطباعي
وسام سعدي عبد المحسن

التنضيد والمتابعة الفنية
علي إبراهيم علي
حنين محمد شريف

شروط النشر

- لا تتجاوز المقالات والدراسات عشر صفحات حجم A4
- مراعاة سلامة اللغة العربية في كتابة المقالات والدراسات
- توثيق المقالة أو الدراسة توثيقاً علمياً
- يزود الباحث من خارج العراق بعدد رقمي من المجلة مع كتاب شكر من السيد رئيس المجمع العلمي العراقي
- ترسل المقالات على البريد الرقمي الخاص بالمجلة:

awraqmajma@iraqacademy.iq

awraqmajma@gmail.com

من أهداف المجمع العلمي

- إيجاد مرجعية علميّة في حقل الاختصاص
- المحافظة على سلامة اللغة العربيّة والكردية والتركمانية والسريانية وغيرها، والعمل على تنميتها ووفائها بمطالب العلوم والآداب والفنون
- وضع معجمات وموسوعات علميّة ولغوية
- تحقيق الكتب والوثائق العلميّة القديمة ونشرها
- إحياء الإرث العراقي والعربي والإسلامي في العلوم والآداب والفنون والعناية بدراسة تأريخ العراق وحضارته وتراثه
- التعاون مع الجامعات والمؤسسات العلميّة داخل العراق وخارجه وإقامة روابط علميّة معها

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أوراق مجمعية

استفتاءات مجمعية

يجيب عنها معالي رئيس المجمع ٣
الأستاذ الدكتور محمد حسين ال ياسين

قبسات معرفية من علم تحقيق المخطوطات

مبادىء في تحقيق النصّ القديم ٦
أ. المتمرس د. طارق الجنابي

إضاءات على منهجيّة تحقيق المخطوطات ١٥
أ.د. جودت إبراهيم

تحقيق التراث؛ من تقويم النّص إلى معرفة الوعاء (الجزء الأول) ٢٢
د.مصطفى الطوبي

تدريس مادة تحقيق النصوص في الدراسات العليا ٢٩
أ.د. علي ناصر غالب

تحقيق المخطوطات ... قضايا وحلول

تحقيق النسخ الفريدة ٣٣
الأستاذة المتمرسة نبيلة عبد المنعم داود

المخطوطات التي نُسِبَتْ ضلَّةً
إلى غير أَصحابها الحقيقيّين ٣٥
د. عباس هاني الجراخ

إشكالية التعامل
مع المخطوطات التي يجهل سير مؤلفيها ٣٩
د. علي حكمت فاضل محمد

ملف العدد
روافد جديدة في عالم التحقيق

ديوان ابن خفاجة في رحاب التحقيق ٤٨
بين سيد غازي وعمر فاروق
أ.د. إسماعيل عباس جاسم

شروح حماسة أبي تمّام في الأندلس ٥٠
- شرح الجرجاني مثالاً-
محمد باسل عيون السود

المخطوطات الطّبية في المكتبة المعينية
«شفاء الأنفاس بما ينفع الأسنان خُصوصاً الأضراس» ٦٠
د. محمد عالي أمسكين

كتابُ (رياضة العقول)، المعروفُ بكتابِ (تأخير المعرفة) ٦٤
لأبي العَنْبسِ محمدِ بنِ إسحاقَ الصَّيْمريّ (ت ٢٧٥ هـ)
تحقيق د. احمد عبد الباسط

القولُ الجَلِيّ في ضبطِ «أنَسْتَاس الكِرْمِلِيّ» ٧١
صفاء صابر مجيد البياتي

الشاعر وشعره
مقدّمة نقدية بقلم العلامة محمّد بهجة الأثريّ لديوان
الشاعر عبد اللطيف الدليشي ٧٥
سلطان صلاح

التحقيق بنكهة أدبيّة

حوار متخيل مع الخرائطي مؤلف كتاب (اعتلال القلوب في
أخبار العشّاق والمحبيّن) ٨٠
غريد الشيخ محمد

المخطوط .. صفحة مشرقة من تاريخ أمة

المخطوط .. ذاكرة الأمة وإرثها الحضاري
خواطر وذكريات ٨٦
أ.د. حميد مجيد هدّو

المخطوطات .. ذاكرة الانتماء ٩١
أ. ناصر عاصي

اثر مخطوطات الأ لخميادو
في حفظ التراث الأندلسي بعد تسليم مدينة غرناطة ٩٦
أ.د. وجدان فريق عناد

حفظ الوثائق التاريخية ٩٩
بان أدهم العزاوي

ذاكرة ثقافية
نـوارس في عالم التحقيق

الأب الدكتور بطرس حدّاد ١٠١
وأثرهُ في فهرسة المخطوطات السريانية وتصنيفها في العراق
أ.م.د. وسن حسين محيميد

مقاييس الفحولة في التحقيق
المحقّق العراقي د. حاتم الضامن مثالًا ١٠٦
يوسف السِنَّاري

مخطوطـة من مكتبة المجمع

بغداد في مختلف العصور ١١٥
مخطوطة للمحامي عباس العزاوي
أحمد ابراهيم علوان

دراسات جامعيّة

ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر « مخطوطة» لابن
طولون ، شمس الدين محمد بن علي الدمشقي الصالحي
(ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م) ١١٦
ندى عبد الرزاق محمود الجيلاوي

أخبار مجمعيّة

إعداد / غادة سامي عبد الوهاب ١١٩

ربيع المكتبة

من الكتب المهداة حديثاً إلى مكتبة المجمع ١٣٠
سلوى وسين الله داد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كتابُ (رياضة العقول)، المعروفُ بكتابِ (تأخير المعرفة) لأبي العَنْبس محمدِ بن إسحاق الصَّيمريِّ (ت ٢٧٥ هـ)

تحقيق
د.أحمد عبد الباسط

كتابٌ فريدٌ في مَادَّتِه وأخبارِه التي تضمَّنها، وفي نُسختِه الخطيَّة الوحيدةِ التي وصلَتْ إلينا، وفي مؤلِّفِه نفسِه وشَخْصِيَّتِه الفذَّةِ، وهو أحدُ أعلامِ القرنِ الثالثِ الهجريّ، تجوَّلَ في حواضرِ الدولةِ العبَّاسيَّةِ وأثْقَلَتْه التجارِبُ، وشاعَ ظُرْفُه وأدبُه، فاختصَّه المتوكِّلُ العباسيُّ نديمًا له، وأدركَ مِن بَعْدِه المُعتمدَ ودخلَ في زُمرة نُدمائه.

وقد أَحْصَتْ له كُتُبُ التَّراجمِ والفهارس ما يُنيفُ على أربعين مؤلَّفًا، لم يصل إلينا منها، وهو صحيحُ النِّسْبةِ إليه، سوى هذا المؤلَّفِ.

أمَّا المُؤلِّفُ فهو[1] محمدُ بنُ إسْحاقَ بنِ إبْرَاهيمَ بنِ أبي العَنْبسِ بنِ المُغيرةِ بنِ مَاهانَ، كنيتُه (أبو العَنْبسِ)، ونِسْبتُه إلى (الصَّيْمرة). و(الصَّيْمرةُ) صَيْمرتان: الأولى - وإليها يُنسب المؤلِّف - موضعٌ بالبصرةِ، على فم نهرِ مَعْقِلٍ، وفيه عدَّةُ قرىً تُسمَّى - أيضًا - بهذا الاسم، والأخرى بلدةٌ بين ديارِ الجبلِ وخوزستان، تقع يسارَ القاصد بغدادَ مِن هَمَذانَ.[2]

(١) راجع ترجمته وأخباره في: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٥ / ١٠- ١١؛ والأغاني، ١٢ / ٥٧، و٢١ / ٤٠، ٤٢، و٢٣ / ١٦٥، ١٧١، ١٧٨؛ وطبقات النحويين واللغويين، ص١٠٣- ١٠٤ (ترجمة المبرد)؛ والفهرست للنديم، ١ / ٤٦٧- ٤٦٩؛ ومعجم الشعراء للمرزباني، ص٤٥٧- ٤٥٨؛ والمؤتلف والمختلف للدارقطني، ٣ / ١٥٤٠؛ والبصائر والذخائر، ٦ / ٤٢؛ وتاريخ مدينة السلام، ٢ / ٤١- ٤٢.

(٢) المؤتلف والمختلف لابن القيسراني، ص٩٢؛ والأنساب، ٨ / ٣٦٥- ٣٦٧، وذهبا إلى أنَّ صيمرة أبي العنبس إنما هي نسبةٌ إلى نهرٍ مِن أنهار البصرة؛ ومعجم البلدان، ٣ / ٤٣٩- ٤٤٠.

يغلبُ على الظنِّ أنَّ الصيمريَّ وُلِد بالكوفةِ سنةَ ١٨٤هـ، وانتقلَ - في وقتٍ غير معلومٍ - إلى (الصَّيْمرة) فنُسِبَ إليها، ثُمَّ ما لبثَ أن رحلَ إلى سَامُرَّاءَ مع أخيه، يتنقَّلُ منها إلى غيرِها من المدنِ ويعودُ.

وعلى الرغمِ من اتجاه أبي العَنْبسِ في شبابِه وشَيْخوختِه إلى الهزلِ والمجونِ والفكاهةِ، فإنَّ هذا لا ينفي كونَه قد نشأَ نشأةً دينيَّةً صالحةً؛ فأخوه هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الكوفيُّ، تولَّى قضاء الكوفةِ، ثُمَّ قضاءَ بغداد، وطلبَ الحديثَ صغيرًا، فسمعَ مِن جعفر بن عون العَمْريِّ (ت ٢٠٧هـ)، ويَعْلَى بن عُبيدٍ الطنافسيِّ (ت ٢٠٩هـ)، وغيرِهما. كما حدَّثَ عنه جماعةٌ، مثلُ: أبي بكر ابن أبي الدنيا

(٢٨١هـ)، ومحمَّدِ بن خلف وكيعٍ (٣٠٦هـ). كما أنَّ عمَّه محمَّدَ بنَ إبراهيم بن أبي العنبس له درايةٌ بالحديث، وذِكْرٌ في كُتب علماء الحديثِ والرجالِ، وقد أخذَ عن شيوخٍ عدَّةٍ، مثل: يحيى بن سلمةَ بن كُهيل (ت ١٧٩هـ)، وأبي بكر بن عيَّاش (ت ١٩٣هـ)، وحماد بن نُحيٍّ (ق٢هـ).

أمَّا خبرُه فقد اتفقت المصادرُ على أنَّ أبا العَنْبس الصَّيْمريَّ تجوَّلَ في الحواضرِ العبَّاسيَّةِ مثلِ بَغْدادَ، وسَامُرَّاءَ، ووَاسِطَ، وأنَّه التقى عددًا مِن أبناءِ عصرِه وزمانِه، فنقلَ عنهم ونقلوا عنه، وكثرت نوادرُه واشتهرت، وامتلأت بها كُتبُ الأدبِ، فجعلَه النديمُ (ت٣٨٠هـ) في طبقة أبي العِبَر الهاشمي (ت ٢٥٠هـ)، ومحمد بن حكيمٍ الكُنْتجي، وأفردَ لنوادرِه أبو سعدٍ الآبي (ت٤٢١هـ) البابَ السابعَ عشرَ من المجلَّد السابع في كتابه (نثر الدر)[١]، ووضعَه القلقشنديُّ (ت٨٢١هـ) في (صبح الأعشى)[٢] مع أصحابِ النوادر. كما اتَّفقت على أنَّه لمَّا وصلَ خبرُه المتوكِّلَ العباسيَّ (٢٠٦- ٢٤٧هـ)، جعلَه مِن نُدمائه وأخصائه، وأنَّه أدركَ المعتمدَ (٢٢٩- ٢٧٩هـ)، وانضمَّ - كذلك - إلى زمرةِ نُدمائه.

غير أنَّ تلكَ المصادرَ لم تُشِر إلى تلك المِحْنةِ التي تعرَّضَ لها بعد أنِ استقرَّ به المُقَامُ في بغداد، وقد فقدَ ثروتَه وعِزَّه، وكيفَ أنَّه اضْطُرَّ إلى جوَبان الأرضِ مشرقِها ومغربِها، يقطعُ الرمالَ، ويسلكُ الجبالَ، ويضربُ في القفارِ؛ يجمعُ أَخْبارَ الماضين، وأَشْعارَ المجانين، ونَوادرَ المُخنَّثين؛ ليستعيدَ ثروةً بدَّدَها أصدقاءُ السُّوءِ، الذين ظنَّ بهم خيرًا، ولم يتضح له مَيْنُهم إلا بعد أنْ حدثَ الفَوْتُ! وهو ما ذكرَه المؤلِّفُ نفسُه في حديثٍ طويلٍ مؤلمٍ، أوردَه في ختامِ كتابِه هذا[٣]، ونقلَه عنه بديعُ الزمان الهمَذانيُّ في المقامة الثلاثين مِن مقاماتِه، المُسَمَّاةِ (المقامة الصَّيْمريَّة).

أمَّا شخصيتُه فقد اتَّفقت جُلُّ المصادرِ التي تَرْجمت لأبي العَنْبسِ الصَّيْمريِّ على أنَّه:

(١) أحدُ الأدباء المُلحاء،

(٢) خبيثُ اللِّسَانِ،

(٣) هَاجَى أكثرَ شُعراء زمانه.[٤]

وزاد النديمُ في (الفهرست) - قبل أنْ يحصيَ مؤلَّفاتِه التي تجاوزت أربعين مؤلَّفًا - أنَّه «مِن أَهْل الفُكاهات والمُراطَزات».[٥]

لكنَّه مع ذلك كُلِّه - كما ذكرَ ياقوتُ - شخصيَّةٌ عالمةٌ شاعرةٌ مطبوعةٌ، ذاتُ أدبٍ وفهمٍ، لم يُنْكرْها معاصروه أنفسُهم، يُلخِّصُ هذا كلَّه ذلكَ الحوارُ الذي دارَ بينَ أبي العنبسِ نفسِه وأبي

(١) نثر الدر، ٧/ ٢٩٩- ٣٠٣.
(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١/ ٤٥٠.
(٣) رياضة العقول، ص٢١٧- ٢٢٢.
(٤) انظر: معجم الشعراء للمرزباني، ص٤٥٧؛ وتاريخ مدينة السلام، ٢/ ٤١؛ والمنتظم، ١٢/ ٢٧١؛ والمحمَّدون مِن الشعراء؛ والوافي بالوفيات، ٢/ ١٩١؛ والبداية والنهاية، ١٤/ ٦١٩.
(٥) الفهرست، ١/ ٤٦٧.

العِبَر الهاشميّ (ت ٢٥٠هـ)، وكلاهما قد سلك مَسْلكَ الهزلِ والمجونِ، قال أبو العَنْبس: «قلتُ لأبي العِبَر ونحنُ في دار المتوكِّل: ويحكَ! أَيْش يَحْمِلُك على هذا السُّخْفِ الذي قد ملأتَ به الأرضَ خُطَبًا وشِعْرًا وأنتَ أديبٌ ظريفٌ مليحُ الشِّعر؟ فقال لي: يا كَشْخانُ، أتريدُ أنْ أكسدَ أنا وتنفقَ أنتَ؟ أنتَ أيضًا شاعرٌ فَهِمٌ مُتكلِّمٌ فلِمَ تركتَ العلمَ، وصنعتَ في الرَّقاعةِ نيِّفًا وثلاثين كتابًا، أحبُّ أنْ تُخبرَني لو نفقَ العقلُ أكنتَ تُقدمُ على البُحتريّ، وقد قال في الخليفةِ بالأمسِ:

عَنْ أيِّ ثَغْرٍ تَبْتَسِمْ

وبأيِّ طَرْفٍ تَحْتكِمْ

فلمَّا خرجتَ أنتَ عليه، وقلتَ:

في أيِّ سَلْحٍ تَرْتَطِمْ

وبأيِّ كَفٍّ تَلْتَطِمْ

أدْخَلتَ رأسَكَ في الرَّحِمْ

وعَلِمتَ أنَّكَ تَنْهزِمْ

فأُعطِيتَ الجائزةَ وحُرِمَ، وقُرِّبْتَ وأُبْعِدَ! ... فتركتُه، وانصرفتُ».[1]

تُوفِّي الصَّيْمريُّ في بغدادَ سنة ٢٧٥هـ، ولم يصل إلينا من مؤلَّفاتِه - وهو موثوقُ النِّسبة إليه - غيرُ كتاب (رياضة العقول)، المعروف بـ (تأخير المعروفة)، وحُمِلَ جثمانُه إلى الكوفةِ، فدُفِنَ بها.

وأمَّا النصُّ (رياضة العقول)، المعروف بـ (تأخير المعرفة)، فهو يدخلُ ضمنَ نصوصٍ سَبَقَتْه، وأخرى تَلَتْه، في ما يمكنُ أنْ نُسمِّيَه (كُتب الثقافة الأدبيَّة العامة)، والتي تتصفُ بصفتَيْنِ رئيستَيْن، هما:

١. اتساع الاختصاصِ: وهو المقصودُ بقولِهم: «الأخْذُ مِن كلِّ شيءٍ بطرفٍ»؛ إذ كان مفهومُهم للأدبِ هو تلكم الثقافة العامة التي تهدفُ إلى تكوين مَلَكة البيانِ لدى صاحبِها؛ ممَّا يجعلُه قادرًا على إجادة التعبير عن أفكارِه نثرًا وشعرًا. لذا كانت معالجاتُ أصحابِ هذا النَّمطِ مِن التأليف في مؤلَّفاتهم أقربَ إلى السطحيَّة والاصطفاء، منها إلى التعمُّق والاستقراءِ.

٢. تداعي الأفكار: ويُقصد به الاستطرادُ المُتعمَّدُ مِن قِبَل المؤلِّف، في الانتقالِ بالقارئ مِن قصةٍ يرويها عن بعضِهم إلى حديثٍ نبويٍّ يرفعُه إلى النبيِّ ﷺ، ومِن مقطوعةٍ شعريَّةٍ إلى حكمةٍ بليغةٍ، ومِن خبرٍ تاريخيٍّ إلى نُكتةٍ في النباتِ أو الحيوانِ، ومِن حديثِ المعاركِ إلى مسألةٍ فلسفيَّةٍ، ومن نادرةٍ في اللُّغةِ إلى كلامٍ لبعضِ الحمقى أو المجانين... إلخ، وكأنَّ المؤلِّف يُريد بذلك جذبَ انتباهِ القارئ، وعدمَ إشعارِه بالملَلِ والسآمةِ.

مِن أجل ذلك تنوَّعت مصادرُ أبي العَنْبس الصيمريّ في كتابِه هذا وتعدَّدت مسالكُه فيه، ما بين: مُلَحٍ ونوادرَ وتجاربَ إنسانيَّةٍ جرَت معه شخصيًّا ومرَّت به؛ ونُقولٍ وحكاياتٍ ينقلُها عن أبناء عصرِه الذين التقاهم، مِن مثل: أبي عثمان بكر بن محمد المازني النَّحْويّ (ت ٢٤٧هـ)، وحمدون بن إسماعيل النديم (ت ٢٥٤هـ)، وأبي العيناء محمد بن القاسم (ت٢٨٢هـ) صاحب المُلح والنوادر، ومحمد بن حمزة وَجْه القَرعة، وأحمد بن علي البصريّ الشاعر، ومحمد بن إسماعيل الكاتب، وغيرِهم؛ ومحاوراتٍ أَجْراها مع مَن التقاهم مِن الحمقى والمجانين والمُوسوسين (مثل: حُسين الحمَّال، وحُليس المُوسوس،

(١) أشعار أولاد الخلفاء، ص٣٢٥، والأغاني، ٢٣ / ١٧١.

ودَبْسون الموسوس، وسانويه الصَّفعان، وطُنين المجنون، وأبي السَّري الصَّيْدنائي، وأبي علي الرُّؤاسي، وأبي القطريّ).

أمَّا غيرُ ذلك مِن نقولٍ وأخبارٍ فلم يُصرّح الصيمريُّ - على كثرتِها وتنوُّعها - بمصادرِه فيها، بل كان يزيدُ الأمرَ إلغازًا وتعقيدًا فلا ينصُّ في كثير من الأحيانِ على أسماء أصحابها وقائليها، فكان يُصدِّرُها بعباراتٍ تجهيليَّةٍ، مثل قولِه: «وكان يُقال»، أو: «وكتبَ بعضُ الأدباء»، أو: «وقال بعضُهم»، أو: «وأُنْشِدتُ»، أو: «وقد أحسنَ الذي قال»، وفي حال وقوفِنا على بعضِ النُّقول الواردة في مصادرَ أخرى - وهي قليلةٌ - نلحظُ اختلافَ عباراتِها مع ما أوردَه الصيمريُّ في كتابِه هذا.

ومِن تلكمُ الإشكالات التي أثارها مُحقِّقُ النصّ في دراستِه التقديميَّة إشكاليَّةُ عُنْوانِ الكتابِ؛ فقد اختارَ أبو العَنْبسِ لكتابِه هذا عُنوانًا مثيرًا للاستغرابِ، وهو (تأخيرُ المعرفة). ويَزْدادُ الأمرُ غرابةً وتَعْقيدًا إذا ما وُضِعَ هذا العنوانُ بجانبِ عُنوانٍ آخر (رئيس)، وردَ ذِكْرُه في النُّسخة الخطية المعتمدة؛ التي جاءَ في ختامِها: «تمَّ كتابُ رياضةِ العقولِ، المعروفُ بكتابِ تأخير المعرفة».

نحن - إذن - أمامَ عُنْوانَيْن اثنَيْنِ لنصٍّ واحدٍ، أحدُهما - وهو (تأخير المعرفة) - أكثرُ ذيوعًا مِن صاحبِه؛ إذ أشارت إليه المصادر التي أحصت مؤلَّفاتِ الصَّيْمريّ، بينما أغْفَلَت ذكرَ العنوانِ الرئيس (رياضة العقول) - بحسَبِ ما وردَ في ختام النُّسخة الخطيَّةِ - وذكرَتْ عُنوانًا آخرَ يقتربُ منه، وهو (تذكية العقول)!

أمَّا العُنْوانُ الذي عُرِفَ به الكتابُ واشتهرَ في المصادرِ (تأخيرُ المعرفة)، فقد قصدَ به صاحبُه الضدَّ والعكسَ، أي: «احذرْ تأخيرَ المعرفةِ»، يُفهم هذا مِن قولِه فيه: «ومِن النَّاسِ مَن تتأخَّرُ معرفتُه، فيتوهَّمُ أنَّ كلَّ شيءٍ على ما يظنُّ من نفسِه»[1]، وقولِه بعد أنْ أوردَ نقوشَ خواتيمِ الحَمْقى: «هذا كلُّه مِن تأخيرِ المَعْرفةِ، وإذا كانَ هذا أو مِثْلُه على خَاتمِ إنسانٍ اسْتَدْلَلْتَ به على ضَعْفِ عَقْلِه»[2]، وقولِه - أيضًا - في ختامِ الكتابِ: «هذه - أعزَّكَ الله - مثالاتٌ يُعْتَبرُ بها في الأمورِ، وتُنَالُ بها المعرفةُ؛ فلقد مثَّلتُ لكَ ما تحتاجُ إليه مِن مُقَدِّمةِ المعرفةِ، وأرجو إنْ حَفِظْتَ وأَجَلْتَ الرَّأيَ، وأَعْمَلْتَ الفِكْرَ في هذه الأحاديثِ أنْ تستوثقَ لِنَفْسِكَ مِنْ أنْ يَطْمعَ فيكَ الجهلُ، وأنْ تُنْسَبَ إلى ضَعْفِ العَقْلِ، والسَّلامُ»[3].

فالكتابُ في مجملِه زَجْرٌ عن الجهلِ بالمعرفة، وتَحْذيرٌ مِن عاقبةِ تَرْكِ إعْمَالِ العَقْلِ في الأمورِ.

وأمَّا تسميتُه (رياضة العقول) فبُحكم ما أوردَ فيه صاحبُه مِن أخبارٍ، تُعَدُّ بما تحملُه مِن جدٍّ وهَزْلٍ، وفرَحٍ وترَحٍ، تَنْزيهًا للعقول ورياضةً لها، كيفَ لا وفيها المثَلُ الرائقُ، والحكمةُ المُسْتحسنةُ، والشِّعرُ المُسْتعذَبُ، والنادرةُ النادرةُ، والتجربةُ الإنسانيَّةُ المُكْتَسَبةُ مِن مُنادمةِ المُلوكِ وأربابِ الحُكْمِ، بالإضافةِ إلى ما وردَ في النصِّ مِن كلام العامَّة وعُقلاءِ المجانين والموسوسين؟؛ الأمر الذي يجعل النَّظَرَ في ربوعِه المتنوّعةِ رياضةً لعقلِ قارئِه، وهو ما عَناه المؤلِّفُ نفسُه بقولِه: «وجعلتُه رياضةً لكلِّ امرئٍ، ومغيضًا لكلِّ رأيٍ وفكرٍ، ومتى ما خبَرتَ معرفةَ غَيْرِه خُبِّرْتَه، فأخذتَ حذرَكَ

(١) رياضة العقول، ص١٧٢.
(٢) رياضة العقول، ص١٨٤.
(٣) رياضة العقول، ص٢٢٩.

منه، وعَمِلتَ بضدِّه».[1]

وثمَّ سؤالٌ يتبادرُ إلى الأذهان، وهو: متى ألَّفَ الصَّيمريُّ كتابَه (رياضة العقول)؟

والراجحُ أنَّ أبا العَنْبسِ ألَّف كتابَه هذا بعد أنْ قاربَ الثمانين من عُمره وقد تجمَّعت لديه تجارِبُ السَّابقين، وعِبَرُ الماضين، وتكوَّنت مِن خلالِهما تلك النظرةُ الفاحصةُ المتعمِّقةُ في الأمورِ؛ لذا لم يكن غريبًا أنْ يمتلئَ الكتابُ نُضجًا ونُصحًا وأدبًا مفرطًا قلَّما يجتمعُ في كتابٍ آخر؛ الأمر الذي جعلَ صاحبَه شديدَ الاعتزازِ به وبما تضمَّنَه، دائمَ الإشادةِ به والتنويه بأهميتِه وخَطَرِه في غير موضعٍ منه، فتارةً يذكرُ أنَّ مَن ينظرَ فيه بمزيدٍ مِن التأمُّل والتدبُّر لن يفوتَه شيءٌ مِن ألوانِ الجدِّ والهزلِ[2]، وتارةً ينعتُه بأنَّه أسهلُ الكُتبِ فنونًا، وأملسُها متونًا، وأكثرُها عيونًا، وأملحُها نادرةً، وأحسنُها مقاطعَ، «يُفِيدُ مَنْ قرأه الحَزْمَ، وتدبَّرَ به ضَعْفَ العَقْلِ»[3]، بل يذهبُ - مُبالِغًا - إلى أنَّه لو قُرِئَ كتابُه على طوائفِ: «التُّرْكِ والدَّيْلَم والخَزَرِ، والقِبْطِ والزِّنْجِ والحَبَشةِ، وقيافة السَّوادِ، وغُتَمَةِ الأَكْرَادِ، لتأدَّبوا وصاروا أَعْقَلَ مِنَ المَرَاونةِ».[4]

وتتجلَّى أهميَّةُ هذا الكتابِ في أنَّه:

- يتضمَّنُ عددًا وافرًا مِن ألفاظِ العصر وتراكيبِه اللغوية الشائعة آنذاك، ويُورد ألفاظًا جَرَتْ على ألسنةِ العوام؛ ممَّا يجعلُه مادةً صالحةً لدراسةِ اللُّغة واللهجاتِ في تلك الحقبة التاريخية المتقدِّمة.
- يُمثِّلُ الأثرَ النفيسَ الوحيدَ للمؤلِّف، الذي وصلَ إلينا ولم يختلجْه لبسٌ أو شكٌّ في نِسْبتِه.
- يكشفُ عن وجهٍ آخر للمؤلِّفِ غيرِ الوجهِ الذي نقلَتْه إلينا كتبُ التراجم، وكثيرٌ مِن عُنواناتِ مؤلَّفاتِه الهزليَّةِ؛ فهو هنا شخصيَّةٌ جادَّةٌ إلى حدٍّ كبيرٍ، تُسْدي النُّصْحَ، وتُحذِّر مِن عاقبة الجهلِ بالمعرفة، وإنْ لم يخلُ الكتابُ مِن تَوْظيفِ بعضِ التهكُّم والسُّخريَّةِ لخدمةِ الغَرضِ المُرادِ.
- يعكسُ بكلِّ وضوحٍ الحياةَ الاجتماعيَّةَ والاقتصاديَّةَ للمجتمع العربيِّ إبَّانَ العصر العبَّاسيِّ الثاني وما قبلَه، كما يُبْرِزُ حيَواتِ الفئاتِ المُهمَّشةِ في حاضرتي الخلافةِ (سامراء - بغداد) ونوادرَهم، كفئةِ الصُّفْعان، والشحَّاذين، والحَمْقى، والمجَانين، والمُوَسْوسين.
- ينسبُ عددًا مِن الأقوالِ والأشعارِ إلى قائليها، وقد تَداولَتْها دواوينُ الأدبِ والمختارات غيرَ منسوبةٍ.
- يُصحِّحُ نسبةَ بعضِ الأقوالِ والأشعارِ إلى أصحابِها، وقد نسبَتْها المصادرُ التاليةُ إلى غير قائليها.
- ينقلُ إلينا كثيرًا مِن أخبارِ مشاهيرِ القرنِ الثالثِ الهجريِّ الذين لقيَهم المؤلِّف في بلاطِ المتوكِّلِ وغيرِه مِن خُلفاءِ بني العبَّاسِ، كأبي عثمان المازني النحوي (ت٢٤٧هـ)، وحمدون بن إسماعيل نديم المتوكل (ت٢٥٤هـ)، وأبي العَيْناء صاحبِ المُلح والنَّوادرِ (ت٢٨٢هـ)، ومحمَّد بن حمزة وجه القَرْعة المُغنِّي،

(١) رياضة العقول، ص١٣٥.
(٢) انظر: رياضة العقول، ص٦١.
(٣) رياضة العقول، ص١٩٥.
(٤) رياضة العقول، ص٢٢٨.

ومحمد بن جرير الطَّبريّ (ت٣١٠هـ) وغيرهم. كما ينقلُ إلينا أخبارَ عددٍ لا بأسَ به مِن الأعلامِ المغمورين الذين لم تذكرهم المصادرُ، مِن أمثال: حسَن القطَّان، وحُلَيْس المجنون والموسوس، وحسين الحمَّال، وسَخْطة، وطُنَيْن المجنون، وعَبْدوس النديم، ومحمد بن إسماعيل الكاتب، وغيرهم؛ مما يُساعد في تلمُّحِ شخصيَّاتِهم وصناعةِ تراجمَ لهم.

- يُكمل عددًا مِن الأقوالِ والأشعارِ التي وردت مجزوءةً في غيره مِن دواوين الأدبِ واللغةِ.

صدرَ الكتابُ بأخرةٍ قبل عامٍ عن دار ملامحَ للنشرِ والتوزيع، بتحقيق الدكتور أحمد عبد الباسط، مصدَّرًا بدراسة تقديمية شاملة، ومخدومًا بتسعة كشَّافاتٍ تحليليَّةٍ.

أخيرًا، أختمُ هذا التعريفَ الموجزَ بطُرْفةٍ جَرَتْ بين أبي العَنْبس الصَّيْمريّ وأحدِ العُميانِ، وقد أجابَه بجوابٍ مُسْكِتٍ غيرِ متوقَّعٍ، قالَ في كتابِه (رياضة العقول): «واستقبلَني أَعْمَى على كَتِفِه جرَّةٌ مملوءةٌ ماءً، وفي يَدِه سِرَاجٌ، فقلتُ له: ليسَ تُبْصِرُ؟

قال: لا، والحمدُ للهِ.

فقلتُ له: فما لكَ وهذا السِّرَاجُ؟

قالَ: لئلَّا يَلْقاني أعمى القلبِ مِثْلُكَ فيَكْسِرُ ها» .[1]

وكتبه محقِّقُه

**

(١)رياضة العقول، ص١٠٦.

ثبت المصادر والمراجع

- الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس وآخرَيْن. بيروت: دار صادر، ط٣. ٢٠٠٨م.
- الأم، لمحمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١. ٢٠٠١م.
- الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه: عبد الرحمن المعلمي اليماني. حيد آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١. ١٩٧٧م.
- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية بدار هجر. القاهر. هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١. ١٩٩٧م.
- البصائر والذخائر، لأبي حيَّان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق: وداد القاضي. بيروت: دار صادر، ط١. ١٩٨٨م.
- تاريخ مدينة السلام، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١. ٢٠٠١م.
- رياضة العقول المعروف بكتاب تأخير

المعرفة، لأبي العنبس محمد بن إسحاق الصيمري (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: أحمد عبد الباسط. الشارقة: دار ملامح للنشر والتوزيع، ٢٠٢٢م.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأبي العبَّاس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ). القاهر: دار الكتب والوثائق القومية (مصور عن طبعة القسم الأدبي)، ط٣. ٢٠١٠م.
- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي الأندلسي (ت٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد (أبو) الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، ط٢. ١٩٨٤م.
- عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ). القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م.
- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم (ت٣٨٠هـ)، تحقيق: أيمن فؤاد سيد. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١. ٢٠٠٩م.
- المحمَّدون من الشعراء وأشعارهم، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، حقَّقه وقدَّم له ووضع فهارسه: حسن معمري. الرياض: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع، ١٩٧٠م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، عُني بتنقيحها وتصحيحها: شارلا پلا. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٦٦م.
- معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ). بيروت: دار صادر، ١٩٧٧م.
- معجم الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: فاروق اسليم. بيروت: دار صادر، ط١. ٢٠٠٥م.
- المؤتلف والمختلف، لأبي الحسن علي بن عمر الدراقطني (ت ٣٨٥هـ)، دراسة وتحقيق: موفق عبد الله عبد القادر. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١. ١٩٨٦م.
- المؤتلف والمختلف، لأبي الفضل محمد بن طاهر بن علي، ابن القيسراني (ت ٥٠٧هـ)، تقديم وفهرسة: كمال يوسف الحوت. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١. ١٩٩١م.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، اعتناء: هلموت ريتر، ومجموعة من المحققين العرب والمستشرقين. بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٩٦٢-٢٠١٣م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
بغداد (٢٦٦٣) لسنة ٢٠٢٣
مطبعة المجمع العلمي العراقي

شبكة الألوكة - قسم الكتب